# الإنتاج الفلاحي ومقوماته في الأندلس في عصر بني الأحمر

Agricultural production and its components in AL-Andalus in the era of Bani al-Ahmar

د. سليم حاج سعد
salim-hadj.sad@univ-eloued.dz
جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2022/03/04 تاريخ القبول 2022/04/11 تاريخ النشر 2022/05/04

**ملخص :**

شهدت الأندلس فترة حكم المسلمين العديد من التغيرات خاصة في الميادين الثقافية والاقتصادية، وهذا نتيجة الحركية الاجتماعية والسياسية التي شهدتها البلاد، وخاصة ما كان من تنوع عرقي وديني كبير، حيث انعكس هذا التنوع على الانتاج الاقتصادي في الأندلس الاسلامية في عصر دولة بني الأحمر، ومن بينها الانتاج الفلاحي، والذي ازدهر ازدهارا كبيرا من حيث الكم والكيف

الكلمات المفتاحية : الأندلس ، الفلاحة ، الزراعة ، الاقتصاد، بني الأحمر.

Andalusia during the Muslim rule witnessed many changes, especially in the cultural and economic fields, and this is the result of the social and political movement that the country witnessed, especially the great ethnic and religious diversity. Agricultural production, which flourished greatly in terms of quantity and quality

Keywords: Andalusia, agriculture, agriculture, economy, Bani Al-Ahmar .

تمتعت الأندلس بإمكانيات فلاحية كبيرة أثرت على نوعية وكمية الانتاج، والذي كان يتم تصدير جزء منه إلى الدول المجاورة، فما هي مقومات الانتاج الفلاحي في الأندلس في عهد بني الأحمر؟ وما هو الانتاج الفلاحي للمملكة؟

**أ. مقومات الانتاج الفلاحي:**

اهتم الفلاح الغرناطي بنوعية التربة ودورها في المجال الزراعي، فركز على اختيار أجود الأراضي، فيقول في هذا الطغنري : "... اعلم أن هذا الباب أصل من أصول الفلاحين، إذ لا يتفق شيء في أعمالهم إلا بعد ميز الأرض طيبها من دونه وأيها يستغني عن الزبل إلا القليل..."[1]، لذلك شكلت التربة عنصرا حيويا ومهما للقيام بأي عمل في الميدان الزراعي، فكانت خبرة الفلاح الأندلسي من كبيرة في هذا المجال، فصنفت الأرض الزراعية إلى أصناف عديدة، وفي هذا يقول ابن بصال : "... اعلم أن الأرض للغراسة والزراعة ينقسم على عشرة أنواع يوصف كل منها وهي اللينة والغليظة والجبلية والرملية والسوداء المدمنة المحترقة الوجه والأرض البيضاء والأرض الصفراء والأرض الحمرة والأرض الحرشاء والأرض المكدنة المايلة إلى الحمراء، ولكل نوع من هذه الأرضين نبات يجود فيه وعمل ودبير ..."[2]، وقد تباينت مناطق مملكة غرناطة في نوعية التربة بفعل عوامل التضاريس والمناخ، حيث تغلب عليها الأنواع الجيدة للأرض، وهو ما يؤكده ابن الخطيب في قوله : "... ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعيا بعد طول العام ... "[3].

وتعد عملية تهيئة التربة بواسطة التقليب عملية مهمة جدا، اتبعها فلاحوا المملكة من لتفتيت التربة وتهيئتها للزراعة، وهو أمر تؤكده كتب الفلاحة حين تذكر: " ...أن تحرث الأرض ويرد أعلاها أسفلها مرة بعد مرة..."[4]، كما تكون عملية تسوية التربة وتعديلها كي تساعد في عملية الزرع والسقي، فكان الفلاح الغرناطي يستعين في القيام بهذه الأعمال الشاقة بالحيوان خاصة الثور، ولأهمية هذا الحيوان في عملية الزراعة ذهبت السلطة إلى منع ذبحه، حيث يقول أحد المؤرخين في هذا : "... لا تذبح بهيمة تصلح للحرث ويرقب على ذلك أمن ثقة لا يرتشى ، يخرج إلى موضع الذبح كل يوم، إلا أن تكون ذات عيب ولا أنثى تصلح للنسل ..."[5]، وهو ما ساعد في الحفاظ على

قطعان البقر والزيادة في أعدادها خاصة في غرناطة العاصمة، وهو الأمر الذي يؤكده ابن الخطيب حين يقول : "... بها ... (غرناطة) ... الفحول الفارهة من الحيوان الحارث لآثار الأرض وعلاج الفلاحة ..."[6].

وعلى الرغم من كل المجهودات السابقة لتهيئة الأرض الزراعية، إلا أنها لا تضمن إنتاجا جيدا إلا إذا كانت التربة غنية، وهو ما يفرض على الفلاح الغرناطي بشكل دائم بذل مجهود إضافي لتزويدها بما ينقصها عن طريق تسميدها بفضلات الحيوانات، بالإضافة إلى عملية زرعها ببعض المزروعات التي من شأنها أن تعيد إليها قوتها، مثل الفول واللوبيا وغيرها[7]، وهو الأمر الذي كان يثقل كاهل الفلاح الأندلسي، وتأتي بعد هذه الفترة عملية البذر والغرس، فيقوم الفلاح بهذه العملية بعد خط خطوط مستقيمة في التربة، ترمى فيها البذور[8]، أما بالنسبة لغرس الثمار فإنه "... يجعل بين الثمرة وثمرة اثني عشرة ذراعا ..."[9]، ويراعى في ذلك انتقاء أجود البذور والابتعاد عن البذور الهزيلة، خاصة حبوب القمح التي يجب أن تكون صحيحة وصغيرة العمر، وقد اتبع الفلاح الغرناطي في عملية الغراسة آليات خاصة، مما يفرض علية معرفة نوعية الغروس التي سوف يتعامل معها، وما هي السبل التي سينتهجها في غراستها والفصول المناسبة للقيام بذلك، وعن هذا الأمر يخبرنا ابن بصال قائلا : "...اعلم أن الغراسة تنقسم ثلاثة أقسام، زراريع ونوامي ونوى، فأما الثمرة التي يوكل حملها ويكون لها نوى فمن أحب أن يزرع ذلك النوى ... وذلك مثل الجوز واللوز الذي يطيب في شتنبر ... وما كان من الخوخ والرمان والعنب والتين فيزرع في أكتوبر ونوفمبر...وأما النوامي فتغرس من يناير إلى فبراير إلى مارس ..."[10]، وهي معلومات كانت لا تغيب عن ذهن الفلاح الغرناطي.

في الغالب تبدأ الزراعة بالأندلس في أوائل شهر يناير على أساس أنه الأنسب للقيام بمثل هذه العملية[11]، وذلك لنزول المطر في هذه الفترة وهو أمر مهم جدا لعملية

الزراعة، أما فترة الغراسة فتختلف حسب نوعية الثمار وحسب التوقيت لذلك، وبها تقنيات خاصة اتبعها الفلاح الغرناطي، فمثلا فترة غراسة شجرة النخيل تختلف عن فترة غراسة شجر الزيتون أو الرمان، كما عرف الفلاح في مملكة غرناطة كيفية استغلال الشبكة المائية المتوفرة بها بتقنيات متطورة في ذلك الزمن، فكانت مصادر المياه في بلاد الأندلس متنوعة بين مياه الأنهار والأمطار والآبار والعيون، حتى قيل أن : "...المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء..."[12]، لذلك قام الأندلسيون بخزن وتجميع المياه في أماكن خاصة سميت بالمحابس والصهاريج الكبيرة[13]، والتي يتم عبرها خزن كميات جد مهمة من المياه، وقد أوردت المصادر ذكر بعض المناطق التي تتوفر بها هذه المحابس الكبيرة مثل الحاضرة غرناطة[14]، ألمرية[15]، مالقة[16]، وادي آش[17]، وأنتقيرة[18]، وقد فصَّل الحميري في كيفية عمل هذه المحابس حيث تغلق فيرتفع منسوب المياه، ثم يخرج من المجرى عبر مجموعة من "...الجداول العظيمة يسقي الجدول عشرة فراسخ وأكثر ..."[19].

وفي ذات الموضوع أنشئ الأندلسيون الصهاريج التي تستخدم لتخزين المياه[20] قصد استخدامها خلال فترات الجفاف، وتكون هذه الصهاريج عادة مستطيلة أو مربعة الشكل، تبنى من الحجارة البيضاء وتجعل لها مدرجات داخلية تستعمل في النزول إلى قعر الصهريج من أجل إزالة الأوساخ المترسبة في قعرها بشكل دوري، كما اعتمد الأندلسيون على تقنية إعلاء الوادي عن طريق بناء "السداد"[21] لسقي البساتين التي تكون في أماكن مرتفعة، هذا بالإضافة إلى إقامة شبكات سقوية خاصة لإيصال المياه إلى مناطق السقي بالنسبة للأراضي والحقول البعيدة عن ماء النهر، وقد اهتم الفلاح الغرناطي بالسواقي اهتماما كبيرا وذلك بصيانتها وإصلاحها[22]، وفي الغالب كانت هذه الأعمال تنجز من قبل البسطاء من سكان المملكة.

وبالنسبة للمناطق التي تكون بعيدة عن مصادر المياه، فإنها تتطلب عملية جلب المياه إليها، وهو ما تفطن إليه الفلاح الأندلسي عن طريق ابتكار مجموعة من الآلات الرافعة، والتي تقوم بإفراغ الماء المجلوب من الأنهار أو من الآبار داخل أحواض كبيرة حتى تسقى منها الأراضي[23]، ونتيجة للنزاعات التي كانت تحدث بين المزارعين الغرناطيين حول السقي، فقد أنشئت في الأندلس ما عرف بـ " وكالة الساقية "[24]، لتنظيم الأمور المتعلقة بشؤون الري، كما أطلق على صاحب هذه الوظيفة اسم "صاحب الساقية"، كما تدخل القضاة والفقهاء في الغالب من الأحيان لفض نزاعات الفلاحين حول السقي، ومثال ذلك ما حصل من خلاف حول ساقية بمنطقة غرناطة تطلب التوجه إلى فقهاء غرناطة وكان المشكل"...عن ساقية عادة أهلها أن يخدمها عند الاحتياج إليها من زرع في تلك السنة ومن لم يزرع، إلى أن أبى من لم يزرع أن يخدم مع أصحابه وقال : لا أخدم ما لا منفعة لي فيه، هل يحكم عليه أو لا ؟ "[25]، وخلاصة القول أن الفلاح الأندلسي الغرناطي العامي تمكن من التحكم في تقنيات الفلاحة، من تهيئة وقلب وتسميد وزرع وري، فكان الإنتاج الفلاحي متطورا كما ونوعا، فكانت كل العمليات المصاحبة لمهنة الفلاحة تكون على كاهل الغرناطي من عامة السكان، فينحصر تواجد الخاصة هنا في عملية التملك أو المراقبة لا أكثر، فكان دور البسطاء في المجال الفلاحي دورا محوريا في نجاح العملية جملة وتفصيلا، حيث يعتبر غيابهم توقفا كليا لفعل الفلاحة.

**ب الإنتاج الفلاحي في مملكة غرناطة :**

**1 . الإنتاج الزراعي :**

تنوع واختلف انتاج الفلاحة من المزروعات والمغروسات الشجرية بأرض مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، وذلك للتنوع المناخي والمورفولوجي لها، هذا على الرغم من ضيق الرقعة الجغرافية والظروف السياسية التي كانت تعيشها، وهي أمور أثرت

بالسلب على اقتصاد المملكة بصفة عامة، والزراعة بشكل خاص، فهي التي تتسع مساحتها في فترات السلم وتتقلص في أوقات الحرب، ونجد في مقدمة الزراعة الغرناطية الحبوب بشتى أنواعها، والتي تمثل أساس الزراعات الغذائية الأكثر استهلاكا عند الناس على مختلف درجاتهم الاجتماعية، فهي منتشرة بجل مناطقها الأكثر خصوبة، كالمرج الفسيح بغرب البلاد، فهو الذي يوفر أكثر من موسمين في السنة، فيقدم إنتاجا كبيرا يفوق احتياجات سكان المملكة[26].

بالإضافة إلى ذلك اشتهرت المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقي من العاصمة والمعروفة بـ "البراجيلات"، وأيضا بعض مناطق الشمال الغربي خاصة منطقة "قنب"[27]، ويأتي القمح على رأس إنتاج الحبوب بمملكة غرناطة، والذي كان يطحن غالبه ويحول إلى دقيق يصنع منه الخبز أو بعض العصائد والعجائن كثيرة الاستهلاك[28]، وهي زراعة القمح في جميع أنحاء غرناطة، إلا أنه يتواجد بشكل كبير في مدينة انتقيرة[29]، وبسطة[30]، وبلش ومالقة[31]، والحامة[32]، وقرطمة[33] بضواحي العاصمة، ورندة[34]، ومدينة المرية[35]من الناحية الشرقية، كما تنوعت أنواع القمح المزروعة في مملكة غرناطة، مثل القمح الأحمر المشهور باسم "الريون"[36]، والقمح المعروف بـ "الرية"والقمح الأبيض المشهور باسم "أطرجال".

وينتج الفلاحون في مملكة غرناطة الشعير، والذي اشتهرت به عدة مناطق وبصفة خاصة مدينة بيرة والتي قال عنها ابن الخطيب : "...بلدة...يسرح بها البعير ويجم بها الشعير..."[37]، وكذلك مدينة أوربة التي وصفها ابن الخطيب كذلك بأنها "... بلد ... قوته الشعير الذي يبذر..."[38]، كما يزرع الشعير أيضا في مدينة سهيل[39] الواقعة جنوب غرناطة العاصمة، وكذلك الفحص[40]، كما تعتبر بلش ومالقة[41]من مناطق إنتاج الشعير لكن بدرجة أقل، وقد اشتهرت مملكة غرناطة بإنتاج نوعين من الشعير : شعير الأقوات أو الادخار، بالإضافة إلى شعير القصيل الخاص بالدواب والعلف

الحيواني[42]، وقد لقيت زراعة الشعير عناية خاصة من فلاحي مملكة غرناطة باعتباره يشكل مادة أساسية تدخل في التغذية، حيث يصنع منه دقيقا للخبز وبعض العصائد[43]المشهورة.

كما تزرع الذرة على نطاق واسع في المملكة، وهذا بنوعيها الصفراء والبيضاء، وعليه اعتمدت عليها بعض الفئات من عامة المجتمع مثل الفقراء والعمال كغذاء منخفض التكلفة لها خاصة في فصل الشتاء والخريف[44]، إضافة إلى ذلك اهتم الفلاح في مملكة غرناطة بزراعة حبوب القطاني، فاشتهرت بها مناطق واسعة بفحص غرناطة وضواحيها[45]، وتواجدت كذلك بضواحي، قمارش[46]، ولوشة[47]، وأوربة[48].، ومن بين الحبوب المنتشرة التي ساهم الفلاح في مملكة غرناطة في إنتاجها نجد الفول، والذي يستهلك في شكلين مختلفين أخضرا أو يابسا[49]، أما بالنسبة للحمص فهو نوعان : حمص الادخار والحمص الجاهز الذي يؤكل أخضرا، وشكل العدس مادة أساسية بالنسبة للفلاح المملكة، حيث كانت مادة واسعة الاستهلاك لدى العامة من السكان [50]، كما شهدت زراعة اللوبيا أو "الفاصوليا" إقبالا كبيرا داخل المجتمع الغرناطي باعتبارها منتجا جديدا[51]، فخصصوا لها حدائق داخل البساتين العريضة بالعاصمة غرناطة وضواحيها، خاصة في سهل الفيجا أو السهل الفسيح غرب العاصمة، هذا بالإضافة إلى مناطق أخرى متفرقة مثل ضواحي مدينة ألمرية[52] وغيرها.

ويعتبر الأرز من المزروعات الجديدة التي ظهرت بالحقل الأندلسي عند الفلاح، حيث أثر على الطبيعة الاستهلاكية للغرناطيين، فاهتموا به وأصبحوا يتحكمون في طرق زراعته والعناية به[53]، وتتركز مناطق إنتاجه في سهل الوادي الكبير وسهول بلنسية ووادي آش ورندة ولوشة[54]، كما شهدت زراعة الخضر والبقول ازدهارا كبيرا عند الفلاح ، خاصة مع توسع الأحزمة الزراعية والتي نشأت حول المدن الكبرى مع تطور وسائل السقي والتحكم في تصريف المياه، فكان الفلاح الغرناطي ينتج البصل بنوعيه

البكير والصيفي المخصص للادخار[55]، بالإضافة إلى الجزر والثوم والفجل واللفت والجلبان والقرع والفلفل والخيار والبدنجان والسفرجل وغيرها من المنتجات الفلاحية، وبالمناطق التي تكون فيها زراعة الخضر كانت زراعة البقول من الخس والكرنب والسلق والكرافس والنعناع أو النعنع[56]، وقد شملت السهول المسقية خاصة على امتداد الأنهار في كل العاصمة غرناطة ومدينة المرية[57]، ووادي آش ومدينة لوشة[58] فاختصت بهذه المنتجات.

كما تعتبر زراعة قصب السكر زراعة جديدة ببلاد الأندلس، حيث حظيت باهتمام بالغ من عامتها، فانتشر هذا النوع خاصة بمالقة[59] وشلوبانية[60]، ومدينة المنكب التي يقول فيها ابن الخطيب "غصت بقصب السكر أرضها"[61]، وفي نوازل ابن لب ما يوافق قول البن الخطيب، حيث كان تجار قصب السكر يكترون الأراضي من مالكيها ويزرعون بها قصب السكر، وفي هذا سئل الفقيه ابن لب في مسألة قال فيها "...أن أهل المنكب جرت عادتهم أن يكروا أرضهم لزراعة قصب السكر لثمانية أعوام، ويشترط بعض المكريين على المكتري أن يترك له بالموضع عند تمام المدة جذرة القصب، وبعضهم يشترط عليه المكتري أن تكون جذرة القصب له يبيعها عند تمام مدة الكراء..."[62]، فكانت تجارة السكر وقصبه رائجتين في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، حيث تكثر النوازل المتعلقة بهذا النشاط في المنكب ومالقة، وهاذين الموضعين يدلان على سهولة تسويق هذا الانتاج حتى خارج حدود المملكة[63]، كما تمدنا النوازل الفقهية بمعلومات غاية في الأهمية حول قيمة أراضي قصب السكر، والتي قدرت "بعض الجنات ونصف جنة أخرى من قصب السكر بثلاثين دينارا من الذهب"[64].

كما اهتم الفلاح بالزراعات النسيجية خاصة زراعة الكتان في فحص غرناطة[65]، ومدينة المرية[66]، إلا أن أهم منطقة تخصصت في إنتاجه هي مدينة إلبيرة على ضفاف نهر شنيل حتى صار كتانها مشهورا خارج أراضي المملكة[67]، واهتم الفلاح في مملكة

غرناطة بشكل كبير بتربية دودة القز لأجل إنتاج الحرير، فأكثروا من غراسة أشجار التوت التي تنشئ عليها هذه الدودة[68]، وانتشر ذلك بشكل خاص في نواحي برجة والبشارات بضواحي جبال الأندراس[69]، وجيان[70]، كما يعتبر نبات القطن من الزراعات النسيجية التي اشتهرت بها مملكة غرناطة النصرية[71]، وتتم زراعته خاصة بالساحل الجنوبي للبلاد، وهو من الزراعات المشرقية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس، فأصبح معروفا عند الأسبان فيما بعد باسم "Algodon"[72] وقد كان إنتاجه وفيرا جدا إلى درجة تصديره إلى بلاد المغرب الإسلامي[73] وغيره من البلدان الأخرى، ويرد ذكر القطن في كتب النوازل والوثائق مع الألبسة المتداولة[74].

واهتم الفلاح من الغرناطي بزراعة عدد من النباتات العطرية والطبية خاصة منها التي تستخدم في التتبيل والتلوين، ومن بين هذه النباتات نجد الزعفران الذي يستخدم للطبخ، بالإضافة إلى الزعفران الهجين الذي يستعمل في صنع بعض مساحيق التجميل أو تلوين الثياب[75]، وينتشر إنتاج الزعفران بشكل خاص في مدينة بسطة[76]، والتي تستحوذ على أكبر إنتاج في مملكة غرناطة، هذا بالإضافة إلى مدينة باغة، وبياسة[77] لكن بدرجة أقل، كما يعتبر نبات العصفر مادة ملونة، فقد زرعه الفلاح في مملكة غرناطة بسواقي الكتان[78] حتى لا تكون تكلفته كبيرة، وهو على نوعين : مشوك وغير مشوك، وهو على العموم يستخدم مثل نبات الزعفران للصباغة باللون الأصفر[79]، أما للحصول على اللون الأحمر المشهور بالمجتمع الأندلسي فيكون ذلك من حشرة القرمزية الطفيلية، والتي تعيش على شجر البلوط[80]، وهذا النوع يتركز إنتاجه في بلنسية ومالقة[81]، كما اهتم الفلاح في مملكة غرناطة بزراعة النباتات الطبية وذلك لما تدره من أرباح كبيرة، إلا أنها في الغالب تحتاج إلى شيء من التخصص والمهارة في القيام بها ورعايتها وفق أساليب خاصة بكل نوع من هذه النباتات[82] المهمة جدا.

اعتنى الفلاح في مملكة غرناطة بالأشجار المثمرة، والتي عرفت انتشارا كبيرا في أراضي المملكة حتى قال المقري : "...وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها..."[83]، فكان الإجاص بجبل طارق ونواحي غرناطة خاصة نوع الكمثري بجبل شلير، كما تعتبر فاكهة التين الأكثر شهرة في بلاد الأندلس وينتج في مالقة بشكل خاص[84]، أما شجرة الرمان فقد كانت لها شهرة كبيرة عند سكان غرناطة، فانتشرت في أشبونة ومالقة[85]، كما اهتم الفلاح في مملكة غرناطة بالتفاح الذي كان إنتاجه بحصن جليانة[86] ولوشة[87]، والبشارات والحاضرة غرناطة، أما البرتقال فكانت أشجاره تكسوا جبال البشارات والمرية ومالقة ورندة ولوشة[88]، كما عرفت مرتفعات غرناطة انتشار أنواع عديدة من أشجار الفواكه مثل الكرز والجوز واللوز والخوخ والمشمش والبرقوق[89] وغيرها من الأشجار الأقل انتشارا.

وبالنسبة للزيتون فكانت أشجاره من الأشجار الأكثر أهمية في مملكة غرناطة، وذلك لما توفره من مادة الزيت التي كان يصدر جزء كبير منها إلى أماكن عديدة، وقد تركزت زراعته في النطاق السفلي للبحر الأبيض المتوسط[90]، ووادي المرية ومدينة لوشة[91]، وبسطة ووادي آش وقمارش، وتحت المنحدرات المكسوة بأشجار الزيتون كانت تتواجد أشجار الكروم التي ينتج منها الخمر الذي ظل مستعملا ومنتشرا رغم محاربة الفقهاء له النهي عن تناوله[92].

**2 . الإنتاج الحيواني** :بالموازاة مع الإنتاج الزراعي للفلاحين في مملكة غرناطة، كان الإنتاج الحيواني مترابطا في أغلب الأحيان مع النشاط الزراعي، فتربية الأغنام تمارس على نطاق واسع بالمناطق الجبلية، وذلك بمراعي دلاية بالقرب من المرية وبلدة بيرة[93] ومنطقة بسطة وقرية أشكر[94]، وللوقوف بشكل أدق على انتشار وأهمية تربية الأغنام في مملكة غرناطة[95]، يكفي معرفة ما غنمه النصارى من منطقة صغيرة مثل أستجة وهو ما يقدر بـ خمسين ألف رأس من الغنم وألفين من البقر[96]، كلها ممتلكات تعود لعامة

الناس، وإلى جانب الأغنام نجد إشارات عن تربية الماعز في مملكة غرناطة النصرية[97]، ويتركز ذلك في المناطق الجبلية، خصوصا المناطق القريبة من جبال البشارات وشلير، رغم عدم ميلان أهل المملكة لأكل لحومها وذلك بتفضيلهم لحوم الغنم.

وبالنسبة لتربية الأبقار فلم تكن بالدرجة التي كانت عليها تربية الأغنام، ورغم ذلك انتشرت في المناطق الغربية من مملكة غرناطة[98]، فكان استهلاك لحومها لدى الغرناطيين أقل من الأغنام، وذلك راجع إلى استغلالها في أعمال الحقل، بل أن السلطة كانت تحارب ذبح الأبقار السليمة، حيث تفرض "...أن لا تذبح بهيمة تصلح للحرث ويرقب ذلك أمين ثقة لا يرتشى يخرج إلى موضع الذبح كل يوم، إلا أن تكون ذات عيب ولا أنثى بصلح للنسل..."[99]، وهذا الأمر هو ما ساعد على الحفاظ على قطعان البقر والزيادة في أعدادها، وهو ذات الأمر الذي عبر عنه ابن الخطيب متحدثا عن مملكة غرناطة : "...بها...الفحول الفارهة من الحيوان الحارث لآثار الأرض وعلاج الفلاحة..." [100]، وقد تركز هذا النشاط الفلاحي بمناطق البشارات[101].

وقد وفرت هذه الثروة الحيوانية الكبيرة فرصا للعمل للكثير من سكان غرناطة، حيث يستأجرهم صاحب الرؤوس رعاة وحراسا لها، حيث يدون عقد توثيقي يذكر فيه على سبيل الوجوب المالك والحارس وعدد الرؤوس ومدة العمل ومقدار الأجرة[102].

كما كانت منطقة المنكب مركزا تنتج فيه الألبان وجميع مشتقاتها بشكل جماعي تعاوني، وهو النشاط الذي أشار إليه الفقيه ابن طركاظ (كان حيا 854هـ/1450م) في قوله : "...وسئل عن أناس لهم كسب يبعدون به عن البلد لأجل المراعي، فيأخذون اللبن ويكيلون لبن كل واحد منهم ويقسمون الجبن الخارج من ذلك اللبن حسب كيلهم إياه ..."[103]، وقد أدت هذه الشركات إلى العديد من الخلافات بين أفرادها، حيث ترفع إلى المفتين من أجل حل النزاعات[104]، وفي هذا اشتهرت مدينة أورية بوفرة وجودة الجبن المنتج بها[105]،

كما قام الفلاح في مملكة غرناطة بتربية الدواب المستعملة للركوب وحمل الأثقال وجر العربات والسفر، فكانت في المناطق الجبلية خاصة جبال رندة ومناطق السهوب الغربية[106]، كما اشتهرت منطقة الجزيرة الخضراء بتربية دواب الجر[107]، هذا بالإضافة إلى مدينة بيرة[108]، أما تربية الخيل فقد شهدت تواجدا ورواجا كبيرين عند الفلاح في مملكة غرناطة، خاصة بالمناطق ذات المناخ الرطب، مثل مدينة بيرة وأشكر[109]، وقد تنوعت أصول الخيل في مملكة غرناطة بين الأندلسي والعربي الأصيل وحصان شمال إفريقيا، فكان أهل غرناطة يهتمون بها اهتماما كبيرا وذلك لأهميتها في التنقل والقتال، وإلى جانب الخيل كانت البغال تحظى باهتمام أهل المملكة إلى درجة افتخارهم بها، وفي هذا الصدد يقول ابن حوقل : "...لهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة من أرمينية والران وباب الأبواب لأنها تبدن وتصنع وتنجب، ويجلب إليهم منها شيء حسن الشبه عظيم الخلق كثير الثمن من جزيرة ميورقة..."[110].

كما تميزت تربية الدواجن وانتشرت انتشارا واسعا عند أهل غرناطة، على أساس أن ذلك أمرا مكملا للنشاط الزراعي، حيث توفر مداخيل معتبرة للفلاح الغرناطي، وهو ما يؤكده ابن الخطيب على أن الأندلسيين كانوا يقبلون على استهلاك الدجاج وأرانب الأوكار خاصة الذي يربى بمناطق لوشة وبأراضي بقاع غرناطة[111]، كما اهتم أهل غرناطة بتربية النحل والعناية به على اعتبار أن بلاد الأندلس كانت من أكبر المناطق المستهلكة له[112]، واشتهرت مناطق عديدة من مملكة غرناطة بإنتاج هذه المادة مثل مالقة[113]، وألمرية[114] وبلش[115] في الجهة الشرقية، والذي قال فيه ابن الخطيب واصفا لجودته :"وعسله إذا اصطفت العسول إمام"[116]، هذا إضافة إلى مدينة أوربة المعروفة بجودة ووفرة الإنتاج[117]، وفي الغالب كانت طريقة الانتاج تتم بالاستئجار مقابل جزء من العسل، ففي نازلة سئل فيها الفقيه ابن لب عن استئجار من يخدم اجباح النحل

بجزء مما يخرج من غلتها، فقال بأن الأصل في عدم جوازها على مذهب المالكية لأنها إجارة على مجهول الأصل والقدر، وقال أن عادة الناس في عصره إنما تفعل ذلك لكثرة الخيانة وقلة الأمانة، لأن الأجير إذا قبض النقد ربما ضيع ولم يهتم بأداء عمله بالشكل المطلوب فيصاب الانتاج بالقلة[118].

كما أهتم أهل غرناطة بالصيد البري[119] والبحري، فكان الأخير بمثابة المورد الأساسي لسكان السواحل، والذين كانوا يقومون بمعالجتها وتمليحها وتجفيفها وادخارها[120]، وقد اشتهرت مناطق عديدة من مملكة غرناطة في الصيد البحري، فمن المرية حتى الجزيرة الخضراء، خاصة مدينة مربلة التي عرفت شهرة كبيرة في صيد سمك السردين، فيقول في ذلك ابن الخطيب : "...بلد التأذين على السردين، ومحل الدعاء والتأمين، لمطعم الحوت السمين..."[121] ، كما اشتهرت شلوبانية[122]، ومدينة المنكب وسهيل[123]، بالإضافة إلى صيد سمك السنمورة والتن في مدينة مالقة وجزيرة شلطيش[124]، وعلى العموم كان الصيد موردا مهما بالنسبة للمشتغلين بهذه المهنة، فكانوا يساهمون مساهمة معتبرة في اقتصاد مملكة غرناطة.

---

[1] الطغنري أبو عبد الله محمد : **زهر البستان ونزهة الأذان** ، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط ، رقم 1394 د، ورقة 29.

[2] ابن بصال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي : **كتاب الفلاحة** ، نشر خوسي ماريا مياس بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955، ص 41.

[3] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 96 .

[4] ابن بصال : المصدر السابق ، ص 54.

[5] ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 44.

[6] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج1 ، 125 ، 126 .

[7] ابن بصال المصدر السابق ، ص 113.

[8] المصدر نفسه ، ص 113.

[9] المصدر نفسه ، ص 113.

[10] المصدر نفسه ، ص 59.

[11] ابن ليون أبو عثمان سعد بن أبي جعفر التجيبي : **إبداء المَلاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة** ، مخطوط المكتبة الوطنية ، الرباط ، رقم 1240د، ورقة 280.

[12] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 26 .

[13] ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 42.

[14] الونشريسي : **المعيار المعرب** ، ج 6 ، ص 113.

[15] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 512. السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص 14 .

[16] المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 210.

[17] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 202 .

[18] الحميري : المصدر السابق ، ص 147 .

[19] المصدر نفسه ، ص 512.

[20] المصدر نفسه ، ص 79.

[21] العذري أبو العباس أحمد بن عمر : **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسلك إلى جميع الممالك**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، 1965، ص 221.

[22] ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 41.

[23] Provencal .l l'Espagne musulmane . p 166.

[24] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 3 ، ص 292 .

[25] ابن طركاظ : المصدر السابق ، ورقة 50

[26] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 23. Arie rachel . op cit . p 346.

[27] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 103 . 115

[28] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 28.

[29] ابن الخطيب : **معيار الاختيار**، ص 127.

[30] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 214.

[31] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 92.

[32] المصدر نفسه ، ص 92.

[33] المصدر نفسه ، ص 95.

[34] المصدر نفسه ، ص 130.

[35] المصدر نفسه ، ص 47.

[36] الطغنري : المصدر السابق ، ورقة 200.

[37] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 104.

[38] المصدر نفسه ، ص 107.

[39] المصدر نفسه ، ص 85.

[40] المصدر نفسه ، ص 121.

[41] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 115.

[42] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 241.

[43] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 279.

[44] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 40 .

[45] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 120 . 125.

[46] المصدر نفسه ، ص 92.

[47] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 214.

[48] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 107.

[49] الطغنري : المصدر السابق ، ورقة 205.

[50] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 279.

[51] Provencal levi , , L'Espagne musulmane au x siécle , p 270.

[52] العمري : المصدر السابق ، ص 239.

[53] الطغنري : المصدر السابق ، ورقة 209.

[54] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 213.

[55] الطغنري : المصدر السابق ، ورقة 327.

[56] المصدر نفسه ، ورقة 228.

[57] ابن الخطيب : **معيار الاختيار**، ص 102.

[58] القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 214.

[59] العمري : المصدر السابق ، ص 246.

[60] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 211.

[61] ابن الخطيب : رحلات ابن الخطيب ، ص 77.

[62] ابن لب: المصدر السابق، ج 2 ، ص 141.

[63] المصدر نفسه، ج 2، ص 77.

[64] المصدر نفسه، ج 2، ص 76

[65] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 98.

[66] ابن الخطيب : **معيار الاختيار**، ص 103 .

[67] ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب** ، ج 2 ، ص 91.

[68] ابن لب : المصدر السابق، ج 2 ، ص 83.

[69] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 99 ، 121.

[70] الحميري : المصدر السابق ، ص 183. الإدريسي : المصدر السابق ، ص 174.

[71] المصدر نفسه ، ص 192.

[72] كمال السيد أبو مصطفى : **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين** ، مركز الإسكندرية للكتاب، (د ت)، ص 125.

[73] Levi Provencal , histoire de l'Espagne musulmane , t 3 . p 284.

[74] ابن سلمون : العقد ، ص 382.

[75] Ibid t 3 . p 284.

[76] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 214.

[77] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 221، بياسة : مدينة من كورة جيان بينها وبين أبدة فرسخان ، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت : **معجم البلدان** ، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط 1 ، 1997، ج 2 ، ص 407.

[78] ابن بصال : المصدر السابق ، ص 116.

[79] المصدر نفسه ، ص 116.

[80] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 140.

[81] ابن الخطيب : **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب** ، ص 32 .

[82] المصدر نفسه ، ص28.

[83] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 200.

[84] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 366. ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب** ، ج 1 ، ص 423.

[85] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 200.

[86] جليانة من أعمال وادي آش ، أنظر : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 149.

[87] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 214.

[88] المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 214.

[89] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 27.

[90] Provencal . histoire de l'Espagne musulmane. t 3 . p 275.

[91] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 94.

[92] الونشريسي : **المعيار المعرب** ، ج 5 ، ص 24.

[93] ابن الخطيب : **معيار الاختيار**، ص 104.

[94] المصدر نفسه ، ص 33.

[95] ابن لب : المصدر السابق، ج 1، ص 154.

[96] ابن عذاري : المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 98 .

[97] ابن لب : المصدر السابق، ج 1، ص 103، ج 2، ص 80.

[98] الونشريسي : المعيار، ج 5، ص 246.

[99] ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 44

[100] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية**، ص 24.

[101] الحميري : المصدر السابق ، ص 394.

[102] ابن سلمون : العقد المنظم للحكام، ص 338.

[103] ابن طركاظ : المصدر السابق ، ورقة 59.

[104] ابن لب : المصدر السابق، ج1، ص 140.

[105] ابن الخطيب : رحلات ابن الخطيب، ص 83.
[106] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 140.
[107] العمري : المصدر السابق ، ص 143.
[108] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 104.
[109] العمري : المصدر السابق ، ص 246.
[110] ابن حوقل أبو القاسم النصيبي : **صورة الأرض** ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت)، ص 109.
[111] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 126.
[112] العذري : المصدر السابق ، ص 96 .
[113] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 87.
[114] المصدر نفسه ، ص 107.
[115] المصدر نفسه ، ص 92.
[116] ابن الخطيب : رحلات ابن الخطيب، ص 83.
[117] المصدر نفسه، ص 83.
[118] الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 192.
[119] ابن لب الغرناطي : المصدر السابق، ج1، ص 122.
[120] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 168.
[121] ابن الخطيب : **معيار الاختيار** ، ص 85.
[122] العمري : المصدر السابق ، ص 240.
[123] الحميري : المصدر السابق ، ص 616.
[124] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 168.